الـمـديـن والحيـاة

الاستاذ حامد الزهرى

لقد أصبح من المعروف والثابت فى الاذهان أن الدين أمر شخصى ولا صلة له بأمور الجماعة أو توجيه المجتمع من حيث هو جماعة تحتاج الى خطوط عامة تسير على هداها وتتمسك بمحتواها . ولكل فرد أن يتصور الدين كما لقنه أبوه وألفت بنشته إذ أن الامر لا يعدوا أن يكون قصة الإنسان الاول وما جرى له من تصورات وأوهام تحاه الوجود المزمجر من حوله برعوده وبروقه . وعامل الزمن قد أزال كثيرا من الحواشى وأبقت السنون ما نستمسك به الآن . وإذا نحن أنصفنا الواقع لوأينا أكثر الأتباع وأكبر جمع من الناس . انما يتبع البوذيه وهى من الاحصاءات أكثر الديانات السائدة أتباعا ، رغم ما بها من اشياء تدعو الى الدهشة والعجب .

وعلى ضوء هذه اللمحات السريعة يمكن أن نلاحظ أثر التربيه ومدى فعاليتها فى الابقاء على العادات ومنها الدين وعلى الباطل والانحراف التى فيها جعل الدين امرا شخصيا وبقية من سخافات البائدين . وكذلك نجح دعاة المذاهب ورسل الدعوات .

واذا تجردنا من العاطفة برهة وتعمقنا ما أثارته هذه الافكار الضارة .

من تساؤل وحيرة . . . أصحيح لبس الدين الا ضميرا فرديا يتعامل به الانسان مع أحلامه فى تصوراته بالنسبة لمستقبل الحياة ؟ وهل صنعت عقول الأجداد والقرود المنفرضة هذا المزيج من الاعتقادات؟ وهل يمكن إذا تصورنا مولودا بكرا لم تمر به عادات ولا تقاليد ووضع فى خلاء يأكل ويشرب هل أسطورة (حى بن يقظان) يمكن الإيمان بصدق وصحة مدلولها ؟ ، وإذا صح أن الأمر لا يعدو أن يكون ذاتيا فرديا كما هو واقع اليوم فى الشعوب الدينية فى مدى الصدق والحجة القوية الملزمة على أن الدين حقيقة وجودية أولا . ثم تنظيم اجتماعى ثانيا . ثم ربط وإحكام لصلة الإنسان بالوجود العام من حوله وما بعد ما حوله زمانا ومكانا ووجودا وبقاء وإمدادا واستعدادا .

وكان صديقى الدكتور يلقى ويتساءل ويقول ويتحدث كأنه فى معركة حامية بين ذاته ومفهوماته ، وهنا كما تعود وفى هذا المكان لم أر منه دائما غير الصدق فى النية والوصول إلى الحق ، ولقد عودنى كما عودته الصراحة فى حزم : والإنسياب فى رفق فقلت له نعم ياصديقى ، وأحب أن تسترجع بعض ما قلناه فى أن الدين غريزة إنسانية ونزعة وجودية ونزوع بشرى يندفع إليه الإنسان من قوة للباطن الذاتى . وجذب النبع الوجودى الأول الكامل ، وقد يعبر عن هذه الحالة ، بأن الله أصل الوجود وممسكه ومدبره والإنسان لمحة من هذا الوجود العظيم ظهر فى أفق الأشياء وتلثم ببراقع المادة وأسفار الارض وما حولها وما فيها . ويندفع العود إلى الصعود بينما يتغذى من الارض وكما يرتفع الساق لينعم الزهر بالنور . وكما ينجذب الحديد بالمغناطيس مثل ذلك يكون الوجود الانسانى بالنسبة للألوهية . وقد يظل النبات أرضيا ، والحديد مغمورا فى التراب ، ولكن رغم ذلك لا يخلو من الاعتماد